صندوق الحكايات

ليلة الزئير

جائزة سوزان مبارك فى أدب الطفل عام ٢٠٠١ (المركز الأول)

تأليف ورسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

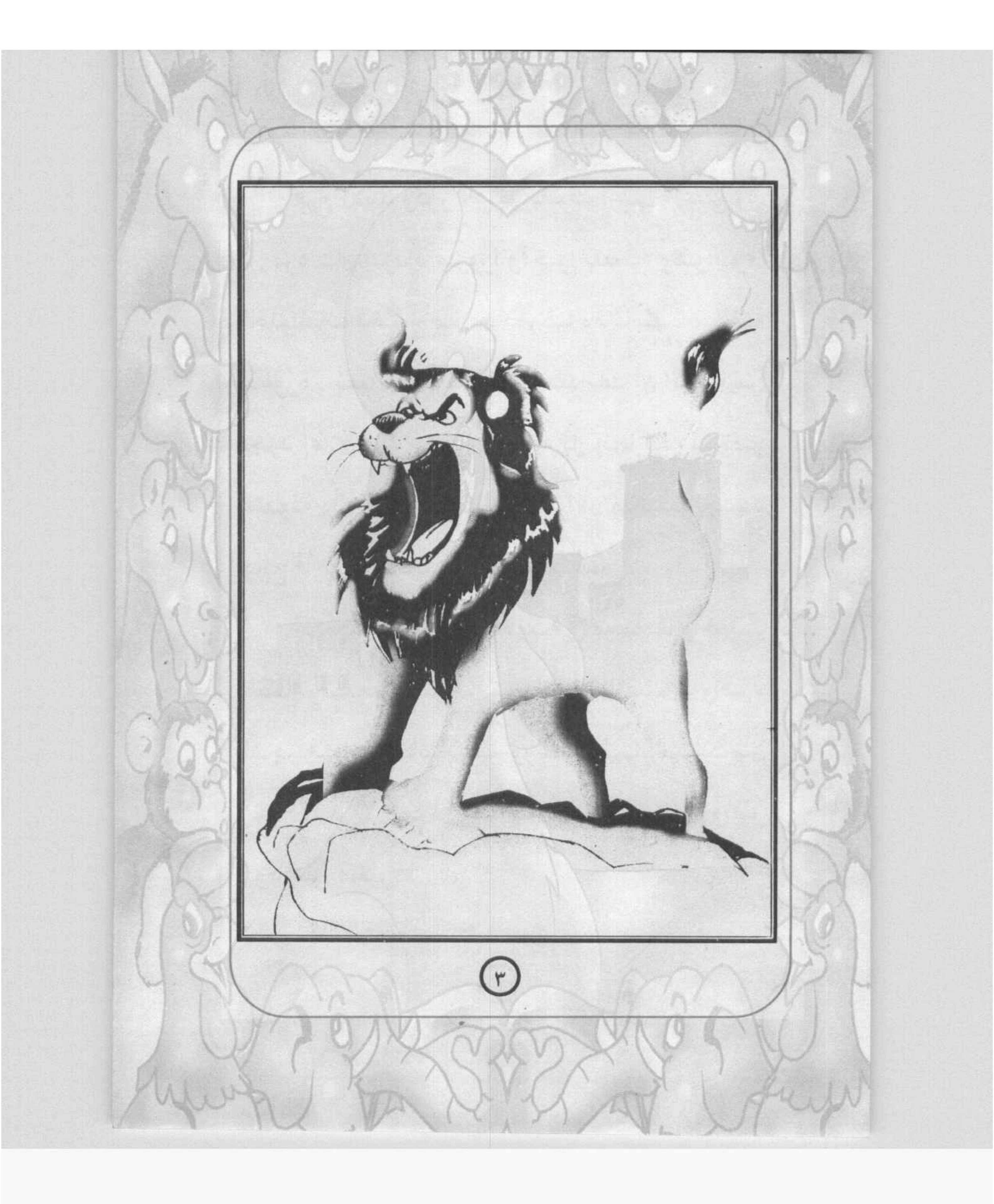
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

ليلة الزئير

اهتزت الغابة النائمة على صوت زئير الأسد..!

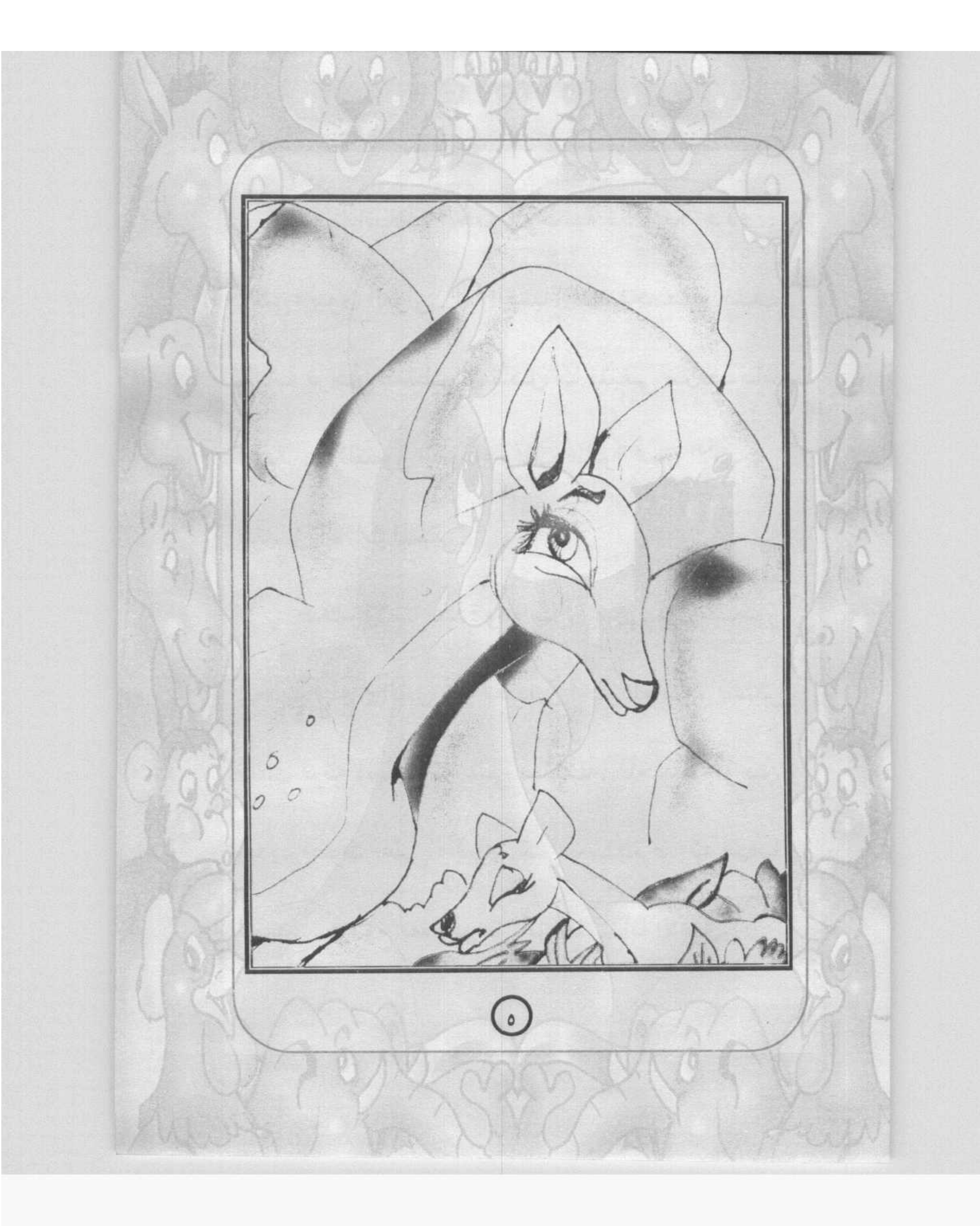
فاستيقظت كل الحيوانات وقد دب الرعب في قلوبهم، وأدركوا على الفور أن ملكهم الجديد بدأ يعلن سيطرته على الغابة..!

شعر الأسد باهتزاز الغابة على أثر زئيره، فملأه الفخر.. والاعتزاز بالنفس وأدرك مدى قوته وسيطرته على مملكته الجديدة.. وأراد أن يؤكد ذلك فبدأ يزأر من جديد بصوت أكثر قوة، فاهتزت الغابة أكثر وأكثر، وارتفع صوت الزئير في سكون الليل فارتجفت كل الحيوانات ودب فيهم الخوف.



فرح الأسد وكرر الزئير بصوت أعلى وأعلى وفي كل مرة كان يزداد غروراً وفخراً بنفسه وهو يرى الحيوانات تخرج من جحورها ومخابئها خائفة مذعورة.. نعم لقد أدركت كل الحيوانات أن الأمر ليس مجرد إعلان ملك جديد عن ملكه بل إنها ليلة لن تمر بسهولة وأن الأمن قد انهار وظنوا أن ملكهم الجديد جائع فأخذ كل منهم يفر لينجو بنفسه.

انكمشت الغزالة اللطيفة في مخبأها وأخذت تُغطي رضيعها بكل ما تجده من الأعشاب وأفرع الشجر فكم هي خائفة عليه ورغم خوفها الشديد من زئير الأسد إلا أنها لن تستطيع أن تترك مكانها وتفر خوفاً على صغيرها..



بينما انطلقت الحُمر الوحشية تعدو بلا هدف، لاشيء سوى الفرار.. أما الضباع فقد تجمعت خلف الغابة فرحة، تنتظر أن تأكل ما يتبقى من ضحايا الأسد .. والنسور السوداء وقفت صابرة فوق الأشجار طمعاً في الفتات المتبقى.

ضحك الأسد بشدة وهو يرى من فوق الصخور العالية قُطعان الآيل تفر بعيداً في أخر الغابة، فشعر بمدى قوته وسيطرته على مملكته..فأخذ يزأر من جديد بصوت أعلى وأقوى لكي يصلهم صوته مهما ابتعدوا، وصرخ بقوة فرحاً "أنا الملك.. أنا الأقوى".

لم تستطع زوجته اللبؤة الطيبة أن تنام من صوت زئيره العالى، في البدايـة كانـت معجبـة بـه وبقوتـه، لكن الأمر زاد عن حده، وأصبح لا يُحتمل..

فمنذ غروب الشمس وهو يزأر، وفي كل مرة يعلو صوته أكثر وأكثر، وهاهو الفجـر قـد اقـترب لكنـه لم يتوقف.. حسناً عليها أن تنبهه.

فاقتربت منه بحذر وربتت على كتفه قائلة:

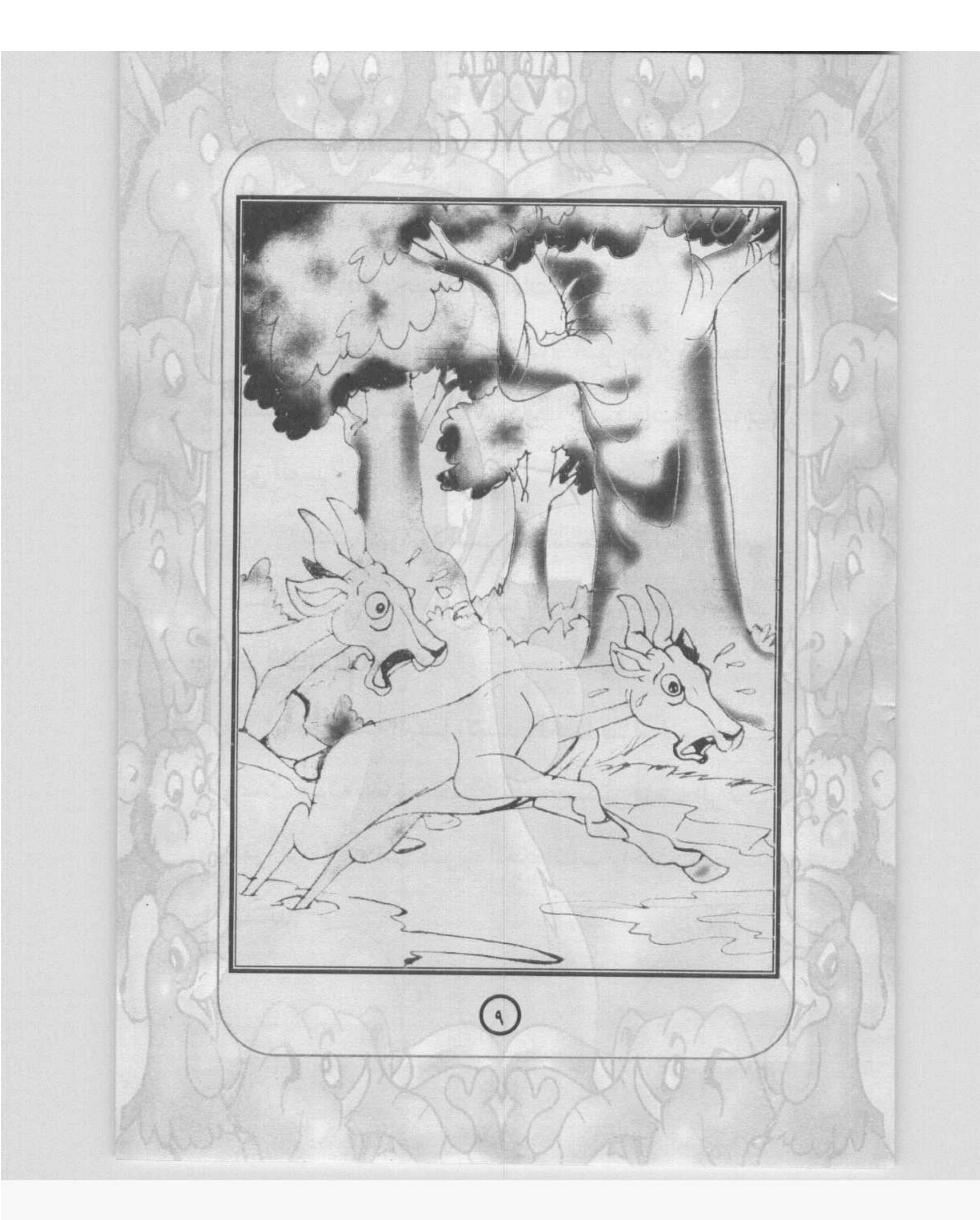
ألن تنم يا زوجي الحبيب..؟

فضحك ساخراً: لـيس الآن يـا عزيزتـي.. لـيس قبـل أن يعلـم الجميـع أننـى أملـك تلـك الغابـة وأن سيطرتي ستصلهم مهما ابتعدوا، ومهما حاولوا الفرار فصوتى سيحاصرهم.

فلا يوجد أسد يملك صوتاً أقوى مني.. انظرى إن الغابة ترتجف.

فقالت غاضبه: يجب أن تفهم يا زوجى أن مهمة الملك أن يحمى مملكته وليس أن يرعبها، لقد حرمتهم النوم والأمن فكيف تكون ملكهم ولا يأمنون فى مملكتك.

فزأر الأسد بشدة ثم قال: أيتها الساذجة أنت لا تعلمين أن الملك القوى هو الأفضل دائماً، سأعلمهم جميعاً أن الغابة تحت سيطرتى من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها وأن صوتى سيبلغهم مهما فروا حتى يعودوا جميعاً خاضعين إلى حكمى.

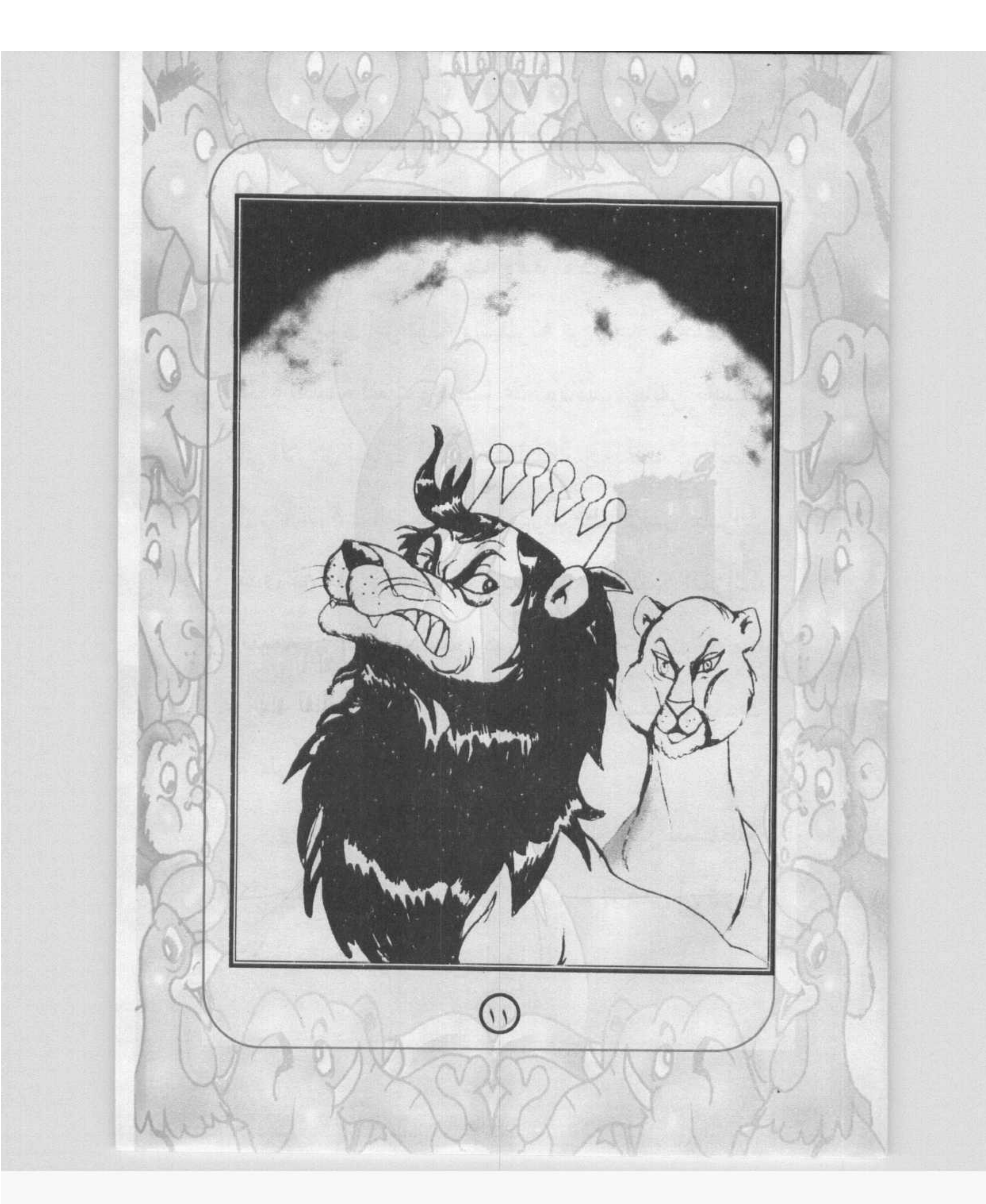


فقالت يائسة: أنت لم تتعلم شيئاً من أبيك فقد كان ملكاً عادلاً تحبه الحيوانات.

فنظر إليها بغضب وقال أبى كان ضعيفاً لا يستخدم زئيره كثيراً لذلك كانت الحيوانات لا تهابه حق الهيبة.

فبكت اللبؤة وقالت: أنت مسكين لا تعرف شيئاً أبوك كان له نفس صوتك لكنه كان يعرف متى يستخدمه..

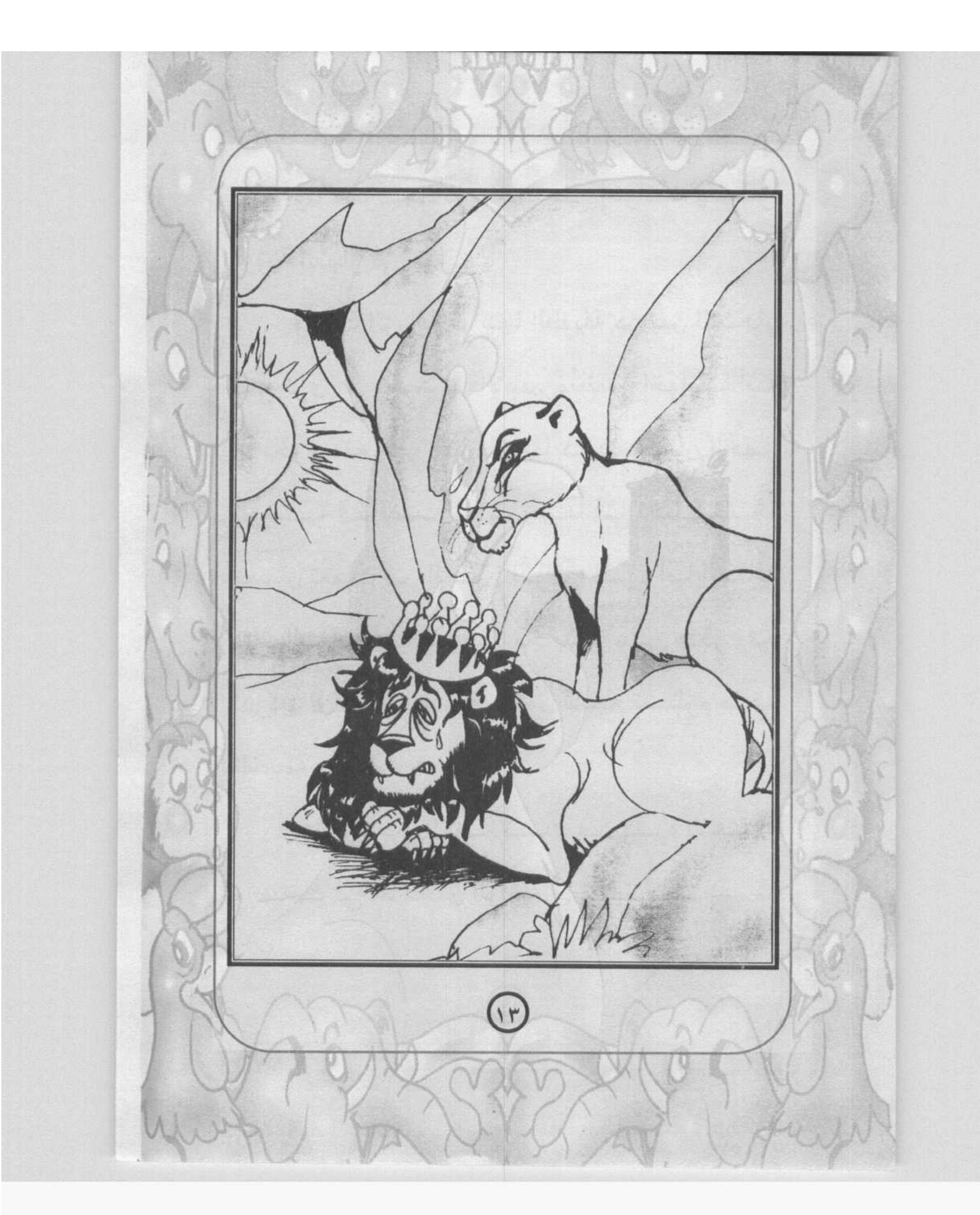
لم يلتفت أليها الأسد وأخذا يزأر من جديد وصدى صوته يمزق سكون الغابة وينشر فيها الرعب حتى فر الأمن من قلوب الحيوانات وأخذت تبتعد وتبتعد.



وعنـد الفجـر توقـف الأسـد عـن الـزئير وتقـدم بخطوات ثابتة نحو عرينه وقـد امـتلأ فخـراً وغـروراً وأراد أن يرى أثر قوته وسيطرته فى وجه زوجته لكن اللبؤة الطيبة لفتت وجهها عنه ونامت، فألقى بجسده على الأرض لينام، فقد كانت ليلة شاقة عليه هو أيضاً.

أشـرقت الشـمس فانحـدرت قطـرة مـن قطـرات الندى من على ورقة شجر وسقطت على جبين الغزالـة فانتبهت.. إنهـا لم تـنم وكيـف ينـام الخـائف لكنهـا فرحت بطلوع النهار ورؤيتها لبسمة رضيعها وحمدت الله على نعمة الحياة.

وأخرجت الأرنبة رأسـها مـن الجحـر لتسـتطلع المكان وقد مزق الرعب قلبها لكنها لم تتحمل أن تـرى الشمس تضحك ولا تخرج إليها.



ولما شعرت بالأمان نادت على إخوانها ليتسللوا لرؤية النهار فى حذر.

وأطلت الزرافة برأسها الطويلة من بين الأشجار لكى ترى عن بعد عرين الأسد، وتُطمئن إخوانها أنه لم يخرج منه حتى الآن.. بينما كانت قطعان الحُمر الوحشية قد قضت ليلتها بعيداً فى آخر الغابة، بعد أن تعبت من الجرى طوال الليل، أما الذئاب والثعالب فقد انكمشت فى مخابئها على حذر وقد أدركت أن الأيام القادمة ستكون قاسية تستلزم منهم الحيطة والحذر.

حتى أشجار الغابة تعبت من كثرة الاهتزاز وأصبحت فى حاجة إلى الراحة..!!

الكل ينتظر.. ويراقب عرين الأسد.. متى سيخرج ومن سيكون ضحيته..؟

فتح الأسد عينيه بصعوبة ما كان يريد أن يستيقظ ويترك أحلامه العظمية.. لكن شعاع الشمس قد لسع عينيه وأجبره على النهوض..

ابتسمت اللبؤة وقالت له:

أخيراً استيقظت يا زوجي الحبيب..، فغضب بدلاً من أن يبتسم..! فقد كان يتمنى أن تقول له: أخيراً استيقظت أيها الملك العظيم، وأراد أن يوبخها وفتح فمه لكي يزأر أولاً لكن صوته لم يخرج..؟

حاول مره أخرى.. كان صوته يخرج ضعيفاً جداً لا يتعدى فمه.. إن حنجرته تؤلمه بشدة وصوته قد بُح.

فتعجبت اللبؤة وقالت فزعه:

مالك.. ماذا بك.. أين صوتك..؟

لكنــه لم يسـتطع الـرد عليهــا، وظـل يحـاول أن يُخرجٍ صوته بأى طريقه لكنه كان لا يخرج إلا مبحوحاً ضعيفاً..

فأدركت اللبؤة أن صوته قد تعب من كثرة الـزئير وأصبح مبحوحاً.. لا يَصلُح.. فأخذت تهدىء من روعه.. وتجمع الأعشاب لتطعمها له..لعلها تخفف من ألمه..

لكنها كانت تعلم أن الألم أصبح الآن بداخل نفسه وهـى تـرى الـدموع تكـاد تنحـدر مـن عينيـه.. ظلـت الحيوانات طوال النهار تنتظر الأسد أن يخرج لكنــه لم يخرج حتى غروب الشمس حتى لم يزأر ولا مرة واحدة فنامت الحيوانات آمنة لكنها كانـت مـا تـزال حـذرة.. ولكن مع مرور الأيام بدأ الأمان يعود إلى الغابة.

أما الأسد المغرور فقد أدرك أن أبـاه كـان حكيمـاً يعلم متى يستخدم عقله ومتى يستخدم صوته وظل أياماً طويلة مختبئاً فى عرينه ينتظر أن يعود إليه صوته..

ويدرس كيف ينشر الأمان فـى مملكتـه بـدلاً مـن الخوف..